الباب الأول

طَرَفَة الرجل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأوّل

بيئته

١

البحرين

نطق العرب اسم البحرين هكذا في حال الرفع والنصب والجر. وذهب ياقوت إلى أنه لم يُسْمَعْ على لفظ المرفوع من أحد منهم، إلا الزمخشري، فقد حكى أنه بلفظ التثنية، فيقولون: هذه البحران، وانتهينا إلى البحرين[١].

وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان. قيل: هي قصَبة هَجَر، وقيل: هجَر: قصَبة البحرين. وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة، كانت في مملكة الفرس، وكان بها خلق كثير من عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم، مقيمين في باديتها[٢].

وفي تاج العروس (بحر): «البحرين: كذا في أصول القاموس والصحاح وغيرهما من الدواوين. وفي المصباح واللسان، بالألف على صيغة المثنى المرفوع: بلد

---

(١) معجم البلدان (البحرين).

(٢) المصدر نفسه (البحرين).

بين البصرة وعُمان، وهو من بلاد نجد، ويعرب إعراب المثنى، ويجوز أن تجعل النون محل الإعراب، مع لزوم الياء مطلقاً، وهي لغة مشهورة، واقتصر عليها الأزهري، لأنه صار علمًا مفرد الدلالة، فأشبه المفردات، كذا في المصباح. قال الأزهري: وإنما ثنّوا البحرين، لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجَر، بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها».

يتضح من تعريف القدماء للبحرين أنها كانت قديماً اسمًا جامعاً لتلك البلاد الشاسعة الواقعة بين البصرة وعُمان، ويستفاد من كلام صاحبي المصباح واللسان أنهامن بلاد نجد، أي من المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية اليوم. أما البحرين المعروفة الآن، فهي الإمارة العربية المحاطة بالبحر في الخليج العربي.

وقد شهدت هذه البلاد منذ عصور سحيقة في القدم ازدهاراً في التجارة وركوب البحر، واستخراج ما في عبابه من سمك ولؤلؤ.

فقد كانت من مراسي السفن الشهيرة في الألف الثالثة قبل الميلاد، تؤمها السفن القادمة من العراق في طريقها إلى الهند، والسفن القادمة من الهند في طريقها إلى العراق[1].

ونتج عن هذا الازدهار التجاري، وازدحام موانئها بالسفن الرائحة الغادية نشوء صناعة السفن فيها؛ إذ كان لا بد للتجارة من أسطول تجاري ينقل البضائع منها وإليها.

ويبدو أن مشاهد السفن المقلعة من البحرين، أو الميمّمة صوب سواحلها غدت مألوفة لدى سكان البحرين؛ فقد شبه طرفة بن العبد حدوج المالكية بها فقال:

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١/٥٥٦.

كـأنَّ حُـدوجَ المـالِكيّـةِ غُـدْوَةً خَلايا سَفينٍ بالنّواصِفِ مِنْ دَدِ[1]
عَـدَوْلِيَّةٌ أوْ مِنْ سَفينِ ابْنِ يـامِنٍ يَجُورُ بها المَلّاحُ طَوْراً ويَهْتَدي[2]

وتفيد الأخبار أن البحرين كانت من أكثف المناطق في جزيرة العرب سكاناً، ذلك أن نسبة عدد سكانها بالقياس إلى مساحة أرضها كانت عالية، بسبب توافر الماء فيها، وتيسّر صيد السمك، واستخراج اللؤلؤ من البحر؛ مما هيأ للأهلين فيها عيشاً طيّباً ميسَّراً، وجعلها حاضرة كثير من الجاليات، قدمت إليها من العراق والهند وإيران، واتخذتها موطناً لها قبل الإسلام بزمن طويل[3].

ولم تقتصر البحرين على التجارة واستخراج كنوز البحر الخبيئة في عبابه، بل كانت قصبتها هجَر مشهورة بزراعة النخيل، وقد عرفتْ بكثرة تمرها، ومنه المثل: «كمُبْضِعِ تمْرٍ إلى هجَر»[4].

وقد سهّل انفتاحُها على البحر للأجناس المختلفة أن تفد إليها من الهند وإيران والعراق، حاملة معها ثقافاتها ومعارفها، وبذلك قُيِّض للبحرين أن تستقي من تلك الينابيع الثقافية المتنوعة مما جعل منها بيئة فكرية خصبة إلى جانب ازدهارها التجاري[5].

وساعد غناها وما كان يَتمتّع به أهلوها من بحبوحة العيش على التفكير باستيراد الرقيق من الهند، ففتحت أسواقها لاستيراده، ليكون عاملاً من عوَامل حيويتها وازدهارها وغناها.

وطبيعي أن ينشط الشعر في مثل تلك البيئة الخصبة الغنية، فينشأ فيها

---

(١) الحدوج: جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء. والمالكية: من بني مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. والخلايا: السفن العظام، واحدتها خليّة. والنواصف: مواضع تتّسع من الأدوية كالرحاب، واحدتها ناصفة. ودد: اسم موضع في البحرين.

(٢) عدولية: نسبة إلى عَدَوْلى، وهي قرية بالبحرين. وابن يامن: ملّاح من أهل هجر. ويجور: يميل. ويهتدي: يمضي للقصد.

(٣) جواد علي ١/ ١٩٢، ٨/٧٨٣.

(٤) الصحاح والقاموس والتاج (هجر)، جواد علي ٧/١٧٤.

(٥) جواد علي ١/١٩٢، ٨/٧٨٣.

شعراء فصحاء مجيدون، وهذا ما قرره ابن سلام بقوله: «في البحرين شعر كثير جيد وفصاحة»[1]. وذكر من شعرائها المثقِّب العَبْدي، والممزَّق العَبْدي، والمفضَّل بن مَعْشَر[1].

وتفيد النقول التاريخية أن بكر بن وائل، قبيلة طرفة بن العبد، كانت من القبائل العربية الكبيرة التي هاجرت من ديارها القديمة تهامة إلى اليمامة ثم إلى البحرين والعراق، إثر الحروب الكثيرة المنهكة التي وقعت بين العدنانيين[2].

وفي القرن الخامس للميلاد كانت بكر وأكثر قبائل معدّ تدين بالطاعة للتبابعة، ثم لملوك كندة، وأولهم حجر آكل المرار الذي انتزع من المناذرة اللخميين ما كان في أيديهم من ملك بكر بن وائل، ووسّع ملكه، ثم خلفه ابنه عمرو المقصور، وبقيت بكر تابعة له، ثم لابنه الحارث الذي اغتصب عرش الحيرة من اللخميين، وبلغت كندة في عهده ذروة مجدها. وكان قد وزّع أبناءه على القبائل، ليتولوا إدارة شؤونها، ويضمن ولاءها وخضوعها لسيطرته، وكانت بكر من نصيب ابنه شراحيل[3].

ولكن الأيام قلبت للحارث ظهر المجن، وأعاد أنو شروان مُلْكَ الحيرة إلى أصحابه اللخميين، ودبّ النزاع بين أولاده، ونقضت القبائل ولاءها له، وانفضّت عن الكنديين، وراحت تسعّر نيران الحرب فيما بينها[4].

كانت الرئاسة على تغلب وبكر وقبائل معدّ آنذاك لكُلَيْب وائل. وقد عظم شأنه، وقاتل جموع اليمن، وهزمهم، فجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته. وغبر بذلك حيناً من دهره، ثم دخله زهو شديد، وبغى على قومه، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يُرْعَى حماه، وإذا جلس لا يمرّ أحد بين يديه إجلالاً له، وحمى أكثر الأرَضين، فلم يسمح لأحد بالرعي فيها إلا

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٧١.
(٢) أبو الفداء ١/ ٤٨، الطبري ٢/ ٦٦ نقلاً عن جواد علي ٤/ ٥٠٠.
(٣) جواد علي ٤/ ٥٠١.
(٤) المصدر نفسه ٤/ ٥٠١.

بإذنه. ومُرت إبل جسّاس بن مرّة، سيد بني بكر يوماً من أمامه، وفيها ناقة لخالته البسوس، فلما رآها كليب أنكرها، ثم قال: لمن هذه الناقة؟ فقالوا: لخالة جسّاس، فقال: أوَ بلغَ من أمر ابن السعديّة أن يجير عليَّ بغير إذني، ثم رمى ضرعها بسهم، فاختلط لبنها بدمها. ولما علم جسّاس بالأمر ثار لكرامته، وقتل كليباً في أول فرصة سنحت له، فثارت تغلب لمقتله، وهبّ أخوه مُهَلْهِل يطالب بدمه، وينادي بالثأر له من بكر، ودارت بين القبيلتين بكر وتغلب رحى حرب طاحنة طويلة، استمرت على ما يذكر المؤرخون أربعين سنة، هلك فيها خلق كثير، وسميت حرب البسوس[1].

ومن أيام هذه الحرب يوم عُنَيْزَة، وكان سجالاً بين الطرفين، ويوم واردات وكان لتغلب على بكر، ويوم قِضَّة (تحلاق اللمم)، وكان النصر فيه لبكر، وفيه قال طرفة بن العبد[2]:

سائِلوا عَنَّا الذي يَعْرِفُنا ... بِقُوانا يومَ تَحْلاقِ اللِّمَمْ[3]
يومَ تُبْدي البِيضُ عَنْ أَسْؤُقِها ... وتَلُفُّ الخيلُ أَعْراجَ النَّعَمْ[4]

ويفيد شعر طرفة أنه أكثر التجوال في بقاع نجد، ففي معلقته ذكر لبقاع مترامية الأطراف، منها: دِجْلة، وهو النهر المعروف الذي يصب في الخليج العربي شرقي الجزيرة العربية، وحَوْمَل في غربيها، وتَهْمد قرب نَفْي في وسط نجد، وضَرْغَد في شمال نجد الغربي، ودَدٌ في نواحي البحرين، وهو واد يصب في

(١) أبو الفداء ١/٧٧، ابن خلدون ٢/١ نقلا عن جواد علي ٤/٥٠١، وانظر أيام العرب في الجاهلية: ١٤٢ وما بعدها.

(٢) ديوانه بشرح الأعلم: ١٠٤.

(٣) اللمم: جمع لمّة، وهي الشعر. والتحلاق: الحلق. وكان الحارث بن عباد رئيس بكر أمرهم بحلق رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً.

(٤) تبدي البيض عن أسؤقها: أي ترفع النساء ذيولهنّ للهرب. والأعراج: جمع عرج، وهو ما بين الخمسين والمئة إلى المئتين من الإبل. وتلف الخيل: أي تجمع النعم وتسوقها.

البحر الشرقي، وروضة دُعْمِيّ في نجد، والصفا والمُشَقّر في هجر، والقُفّان في نجد[1].

ومن ثَمّ كانت البيئة التي عاش فيها طرفة واسعة متباعدة شاسعة، خلّد معالمها في شعره، واستودعها عزيز ذكرياته.

(١) انظر صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار (طرفة).

obeikandl.com

٢

الحيرة

لم تظفر هذه المدينة القديمة السيئة الحظ بوثائق تاريخية قاطعة تؤرخ لها. ولهذا كثر كلام المؤرخين واللغويين وعلماء تقويم البلدان على أصل تسميتها، وكان بينهم في ذلك جدل طويل عريض، كما هو شأنهم في أكثر المدن القديمة التي بعد عهدها عنهم، فحاروا فيها.

ويرى معظم المستشرقين أن كلمة (حيرة) من «حرتا Harta» السريانية الأصل، ومعناها: المخيم أو المعسكر[1].

وكما اختلف المؤرخون في أصل تسميتها، اختلفوا أيضاً في تأسيسها، وفيمن قاد موجة الهجرة الأولى إليها، وما تبعها بعد ذلك من هجرات، وطال في ذلك كلامهم، وتشعبت أقوالهم.

وليس من غرضنا في شيء أن نرتاد معهم العصور السحيقة التي ارتادوها، فهذا يخرج بنا عما نحن فيه، وإنما نكتفي بعرض خلاصة لما وقفوا عنده من آراء.

فمنهم من ذهب إلى أن مؤسسها هو «بختنصر»، ومنهم من قال: إنه

---

(١) انظر جواد علي ٤/٥.

«الأردوان» ملك النبط، ومنهم من رأى أنه «تبّع»[1].

على أن الشيء الذي لا خلاف فيه بينهم أن موجات من العرب اندفعت من الجزيرة إلى العراق، فنزلت الخيام في أول الأمر، ثم تحولت إلى قرية في الجنوب الشرقي من مدينة النجف الحالية[2]، وما لبثت هذه القرية أن أصبحت حاضرة العرب الوافدين إلى العراق، ثم تمر الأعوام فإذا هي عاصمة مملكة عربية، تألق نجمها على شاطىء الفرات الأيمن الخصيب.

تسنّم عرش الحيرة المناذرة، فعرفت بهم تقاليد الملك، وأبهة السلطان، وأنشئت فيها القصور الفخمة والمنازل الجميلة والمباني العامة، كالأديرة والبيع والمدارس وحوانيت التجارة ودور الصناعة والخانات، وحفلت بذكرها أقاصيص العرب وأخبارهم وأشعارهم، فكم تغنى الشعراء بعظمة قصريها الخورنق والسدير، ووصفوا جمال بنيانها، وأشادوا بطيب سكناها وصحة هوائها ونعيم الحياة فيها. وقد حباها موقعها الجغرافي الجميل شهرة أطارت ذكرها في أصقاع العرب، حتى قالوا فيها: «يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة»[3]. ومما وصفت به: «منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام»[4].

وتهيأ للحيرة، إلى جانب ازدهارها السياسي، أن تزدهر زراعتها، فتجبى إليها ثمرات ما يحيط بها من الأراضي الخصبة، والجنان الفيح والقرى الفسيحة الغنيّة، كما تهيأ لها أن تكون سوقاً تجارياً كبيراً، تتداول فيه البضائع المستوردة إليها والمصنوعة فيها.

ومما لا ريب فيه أنها كانت تتنفّس في جو الحضارة الفارسية التي كانت تبسط ظلها على المنطقة، وربما سقطت إليها بعض تأثيرات من الحضارة

---

(١) جواد علي ٤/ ١٠، ومعجم البكري ٢/ ٤٧٩.
(٢) شوقي ضيف، العصر الجاهلي: ٤٤.
(٣) الإصطخري: ٨٢.
(٤) الطبري ١/ ٨٥٠.

البيزنطية بحكم الحروب التي كانت رحاها تدور بين المناذرة وغساسنة الشام والبيزنطيين[1].

كل ذلك أعدّ الحيرة لأن تكون قاعدة خصبة لحضارة غنية، ومقر مملكة مترفة يفيء إلى ظلالها الشعراء العرب كلما أرمضتهم رمضاء الصحراء، وأجهدهم لغوب الكدح وقسوة العيش.

(١) انظر بيئة العراق في التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف: ٣٩.

obeikandl.com

٣

ملوك الحيرة

توالى على عرش الحيرة ملوك المناذرة الذين دان لهم كثير من أقطار العرب وقبائلهم بالطاعة، كاليمامة ونجد والبحرين وعمان، وقبائل العراق، وعلى رأسها بكر وتغلب، وكثير من قبائل نجد[١]، وإن كانوا هم واقعين تحت النفوذ الفارسي، يدينون للأكاسرة بالطاعة، ويحملون إليهم الخراج[٢].

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لخم)، وبـ (آل نصر)، كما عرفوا بـ (النعامنة)، وبـ (المناذرة)، وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم، وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق)[٣].

وكان لقبائل البحرين ونجد واليمامة صلة بملوك الحيرة، ولهم منهم مواقف حسنة أحياناً، ومسيئة أحياناً أخرى. ولسان القبائل في مثل هذه المواقف الشعراء، فهم ألسنتها الناطقة باسمها مديحاً أو هجاء، وهم سفراؤها إلى الملوك.

ومن ثم كان دور الشعراء خطيراً في هذه المواقف، فهم بين مادح مثن، أو ذام قادح، أو رسول قوم جاء إلى الملوك في وفادة لفك أسير، أو إصلاح ذات بين، أو نيل

---

(١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي: ٤٧.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢١٠.
(٣) التنبيه: ١٥٨، نقلاً عن جواد علي ٣/ ١٥٩.

عطاء، ولا نكاد نجد شاعراً من الفحول، أو من الشعراء المشهورين، إلا وله صلة بملك، أو أكثر، من هؤلاء الملوك.

ومما زاد في توطيد تلك الصلات بين ملوك الحيرة والقبائل العربية، قربهم من البادية، وانبساط نفوذهم على رقعة فسيحة من دنيا العرب، بلغت أيام أمرىء القيس أسوار نجران[1]، زد على ذلك ما كانوا يتمتعون به من حرية نسبية في تصريف شؤونهم الداخلية، وتنظيم علاقاتهم بالقبائل العربية البعيدة والمجاورة، وهذا ما لم يتوافر لجيرانهم ملوك غسّان.

فقد كانت البادية بعيدة عن مناطق نفوذ الغساسنة، فلا صلة لهم بقبائلها، ولا بقبائل الحجاز ونجد واليمامة والبحرين، إلا مَنْ وصل إليهم من أصحاب الحاجات، أو هرباً من غضب المناذرة، أو جاءهم مستشفعاً في فك أسير. وكانت مناطق نفوذهم أضيق رقعة من مناطق نفوذ المناذرة، وكانت قبضة الروم عليهم أشد من قبضة الفرس على المناذرة، بحيث لم يكونوا يسمحون لهم بالتحرك إلا بعد استشارتهم، ولا أن يتصلوا بالعرب إلا بأمر منهم. ومن ثم خبت حماستهم لاستقدام الشعراء إلى بلاطهم وإغرائهم بالعطاء الجزل الوفير، اللهم إلا إذا جاء الشعراء إليهم، ورموا بأنفسهم ضيوفاً عليهم.

أما سادة الحيرة فكانوا على النقيض من ذلك، كانت مصلحتهم السياسية تقتضي تألّف قلوب الشعراء والإغداق عليهم والترحيب بهم، استرضاء لسادات القبائل العربية، الذين يوطّدون نفوذهم بين العرب، وينشرون ذكرهم، وينوهون بمآثرهم، في تلك المناطق الواسعة من جزيرة العرب كالبحرين التي كانت تابعة للحيرة، يحكمها عامل يعينه ملك الحيرة، وغيرها من مناطق نجد واليمامة وعمان.

أما من كان يخالف عن أمرهم من الشعراء، ويناصبهم العداء، أو يقصّر في

---

(١) جواد علي ٩/ ٢٩١.

الدعاية والولاء لهم فكان يهرب من غضبهم عليه إلى أعدائهم الغساسنة، لاجئاً إليهم، لائذاً بحماهم، كما فعل النابغة والمتلمس[1].

ولكن سرعان ما يجد هؤلاء اللاجئون إلى حمى الغساسنة أن حفاوة هؤلاء بهم دون حفاوة المناذرة، وأن خفض العيش في كنف المناذرة أوفر وأمتع منه في كنف الغساسنة، فيتطلعون إلى العودة إلى أولئك، وهذا ما يفسر قصر مكث النابغة الذبياني عند الغساسنة، وتحمّله إلى الحيرة معتذراً من النعمان بن المنذر عما بدر منه، مفنداً أقاويل الوشاة الذين أوقعوا بينهما، مشيداً بعطائه الجمّ، ونائله الغمر، وفضله السابغ العميم.

كان بلاط المناذرة إذاً موئلاً لكثير من الشعراء، وبخاصة شعراء بكر وتغلب، يؤمونه مادحين، أو مستشفعين، أو معتذرين، أو باسطين بين يدي العاهل المنذري أوضاع قومهم وقبيلتهم، إزاء خصومهم، ومطالبين إياه بالتدخل بينهم لإحقاق الحق، ودرء الظلم، وتنفيذ العهود بين الفريقين.

ومن الشعراء الذين أمّوا البلاط المنذري الحارث بن حلّزة، إذ أنشد بين يدي عمرو بن هند مطوّلته، باسطاً العلاقة المتوترة بين قبيلته بكر وخصيمتها تغلب، منذّداً باعتزامها نقض العهود المقطوعة بين القبيلتين على حقن الدماء، والبعد عن الجور والعدوان، مشنّعاً على بني تغلب سعيهم بالوشاية عند الملك عمرو، ليوغروا صدره على بكر[2]:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بليلٍ فلمّا ... أَصْبَحُوا أصبحتْ لهمْ ضَوْضاءُ
مِنْ مُنادٍ، ومِنْ مُجيبٍ، ومِنْ تَصْـ ... ـهالِ خيلٍ، خلالَ ذاكَ رُغاءُ
أيُّها النّاطِقُ، المُرَقِّشُ عَنّا ... عندَ عَمْرٍو، وهَلْ لذاكَ بَقاءُ؟

(١) انظر جواد علي ٩/ ٢٩١.

(٢) انظر الهجاء والهجاءون في الجاهلية للدكتور محمد محمد حسين: ١٤٣ وما بعدها، وشرح القصائد العشر للتبريزي- قصيدة الحارث بن حلّزة.

لا تَخلْنـا على غَـراتِـكَ، إنّـا قبلُ ما قَـدْ وَشَى بنا الأَعْـداءُ[1]

ثم يفخر بماضي قومه وقوة بأسهم وصمودهم أمام الحوادث، وبظفرهم على أعدائهم، ويشيد بالمنذر بن ماء السماء، مستميلاً بذلك ابنه عمراً، فيسبغ عليه من الثناء ما يجعله لا كفاء له:

مَلِكٌ، أَضْلَعُ البَـرِيَّـةِ، مـايُـو جَدُ فيها لِمـا لَـدَيْـهِ كِفـاءُ[2]

ويتجه بعد ذلك إلى بني تغلب، فيتهددهم، وينذرهم سوء عاقبة كِبْرهم وتعاميهم عن الحق، وجورهم وعدوانهم، ونقضهم العهود والمواثيق في ذي المجاز:

فاتْرُكـوا الطَّيْـخَ والتَّعدّي، وإمّـا تَتَعـاشَوْا، ففي التّعاشي الدّاءُ[3]
واذْكرُوا حِلْفَ ذي المَجازِ وما قُدِّ مَ فيـهِ العُهـودُ، والكُـفَـلاءُ[4]
حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعَـدّي، ولن يَنْـ ـقُضَ ما في المَهارِقِ الأَهْواءُ[5]

ويمضي الحارث في قصيدته يعيرهم بهزائمهم، معدداً القبائل التي قهرتهم وهزمتهم، ثم يختم قصيدته بمديح الملك عمرو بن هند، فيجبه الوشاة الشانئين الكائدين بأن لقومه عند الملك عمرو من الخلال الرفيعة والمكرمات الحسان ما يملأ نفسه ثقة بهم، واطمئناناً إليهم، ثم يشيد بالملك عمرو وما اتصف به من عدل، وحسن سيرة، ومعروف، وقدم ملك، وسعة حلم، مذكّراً إياه بآيات ثلاث لقومه عنده، فيهنّ القضاء الفصل بولائه لهم:

أَيُّهـا الشّـانِـئُ المُـبَلِّغُ عَـنّـا عندَ عَمْرٍو، وهل لِذاكَ انْتِهـاءُ؟

---

(١) يقول: لا تحسب أنا جازعون لإغرائك الملك بنا، فلطالما وشى بنا الأعداء ليهلكونا فلم يقدروا على ذلك

(٢) أضلعُ البَرِيّةِ: أي ليس في البريّة أحدٌ يضطلع من الأمور بمثل ما يضطلع.

(٣) الطّيخ: الكلام القبيح، أو الكِبْرُ والعظمة. والتّعاشي: التّعامي.

(٤) ذو المجاز: موضع بمكة المكرمة، وفيه أخذ عمرو بن هند على تغلب وبكر العهود والمواثيق.

(٥) المهارق: الصحف.

إنّ عَمْـراً، لنـا لـدَيْـهِ خِـلالٌ غيـرَ شَـكٍّ، في كُلِّهِنَّ البَـلاءُ
مَلِكٌ، مُقْسِطٌ، وَأكمـلُ مَنْ يَمْـ ـشي، ومِنْ دُونِ مـا لديـهِ الثَّناءُ
مَنْ لنـا عندَهُ، من الخيـرِ، آيـا تٌ ثَـلاثٌ، في كُلِّهِنَّ القَضـاءُ

ويمضي في تعداد هذه الآيات الثلاث:

وأولها: وقوفنا إلى جانب الملك عمرو حين أغار بنو الشقيقة، وهم قوم من بني شيبان، على إبل له.

وثانيها: ما صنعنا بحجر غداة غزا امرأ القيس أبا المنذر بن ماء السماء بجمع من كندة كثير، إذ خرجنا معه، فحطمنا كتيبته الفارسية الخضراء، ورددناه على عقبيه مدحوراً.

وثالثها: فكّنا أغلال امرىء القيس، أخي عمرو بن هند لأبيه، وكانت غسّان أسرته يوم قُتِل أبوه المنذر، فأغارت بكر بن وائل مع عمرو بن هند على بعض بوادي الشام، فقتلوا ملكاً لغسّان، واستنقذوا امرأ القيس[1].

ثم أضاف الحارث ما بين بكر وعمرو بن هند من نسب قريب وصهر، يجعلانهم موضع ثقته، ويُوجبان عليهم أن يمحضوه الودّ والوفاء والإخلاص.

ولا ريب أن هذه القصيدة قد تركت أثراً في نفس عمرو بن هند، فأدناه من مجلسه، وكان محجوباً عنه، لبرص كان به، وخلّى سبيل السبعين من بني بكر الذين كانوا محتجزين عنده رهينة أن تنشب الحرب بينهم وبين تغلب[2].

وإنها لواضحة الدلالة على ما كان يشهد قصر المناذرة من مواقف ومساجلات، تُعرَض فيها قضايا القبائل العربية، وتُستعرَض أيامُهم، وما قدّموه للبيت المنذري من خدمات.

ومن الشعراء الذين وفدوا على القصر المنذري، المثقِّب العبدي، وكان

(١) شرح القصائد العشر للتبريزي، البيت: ٧٩.
(٢) المصدر السابق، مقدمة قصيدة عمرو بن كلثوم، ومقدمة قصيدة الحارث بن حلزة.

معاصراً لعمرو بن هند، ويبدو أنه كان جريئاً صريحاً في مخاطبته، حتى إن الأصمعي ذهب إلى أن هذا الخطاب الجريء لا يمكن أن يكون من شاعر للملك عمرو بن هند[٣]، وذلك في قصيدته النونية التي استهلها بالنسيب، ثم وصف ناقته وصفاً مسهباً، تخلّص منه إلى مخاطبة عمرو بن هند قائلاً:[٢]

فَـرُحْتُ بِهـا تُعـارِضُ مُسْبَـطِرّاً ... على صَحْصاحِهِ وعلى المُتونِ[٣]
إلى عَمْرٍو، ومِـنْ عَمْرٍو، أَتَتْني ... أَخي النَّجَداتِ والحِلْمِ الرَّصينِ
فـإمّـا أنْ تكـونَ أخي بـحـقٍّ ... فـأعـرفُ منـكَ غَثّي مِنْ سَميني
وإلاّ فـاطَّـرِحْـني واتّـخِـذْني ... عَـدُوّاً أتّـقـيـكَ وتَـتّـقـيـنـي

ومن هؤلاء الشعراء الذين أمّوا الحيرة، ومدحوا عمرو بن هند: المزَّق العبديّ، ابن أخت المثقّب العبديّ، وكان عمرو بن هند قد همّ بغزو قومه عبد القيس، فلما سمع مِدْحَته انصرف عن عزمه[٤].

ولا يتسع مجال هذا البحث لاستعراض الشعراء الذين قصدوا عرش الحيرة، فأبواب قصور الملوك المناذرة كانت مفتّحة المصاريع أمام الشعراء الوافدين من أنحاء الجزيرة العربية، والبلاط المنذري كان يعجّ دوماً بالشعراء.

على أن علاقة المناذرة بالقبائل العربية لم تكن تسير على وتيرة واحدة، ولم يكن الوفاق تاماً دائمًا بين الفريقين؛ ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تتململ من دفع الإتاوات للمناذرة، وتأبى الخضوع المطلق لآل لخم، فينشب النزاع، وتتحرك جيوش الحيرة لتأديب العصاة المتمردين، ونجد أخبار هذا النزاع في شعر عدد من شعراء القبائل، وهي أخبار لا نجدها في كتب التاريخ المألوفة التي لم تحفل بالشعر،

---

(١) انظر المفضّلية: ٧٦، البيت: ٤١.
(٢) المفضّلية: ٧٦، الأبيات: ٤٠ ـ ٤٣.
(٣) المسبطرّ: الطريق الممتد. وتعارض: تأخذ في عرضه، أي تسير بإزائه كأنها تختصره مخافة أن تضلّ. والصحصاح: ما استوى من الأرض. والمتون: جمع متن، وهو ما صلب من الأرض.
(٤) المؤتلف: ١٨٥، وانظر الأصمعية: ٥٨.

فضاع عليها كثير من تاريخ الحيرة، وأخبار ذلك النزاع الذي سجله الشعر، وذكر المناسبات الدواعي التي أدت إلى قوله:[1]

ويدخل هذا الشعر في باب الهجاء السياسي، الذي وقف فيه الشعراء يسدّدون سهامهم إلى المناذرة، منافحين عن حقوق قبائلهم، ذابّين عن حماها، ثائرين على الظلم الذي حاق بهم من بسط سلطان المناذرة، وفرضهم إتاوات غير عادلة عليهم[2].

فهذا جابر بن حُنَيّ التغلبي يأسى لقومه الذين فرّق بينهم الشرّ، وصدّع وحدتهم، وهدّم بنيانهم، فصاروا إلى الذل وقبول الديات، وكانوا أعزة لا يرضون إلا بأخذ الثأر. ومن الذل الذي حاق بهم أداؤهم الإتاوات كارهين لجباة المناذرة، ثم تأخذه العزة بماضيهم الحافل بالمكرمات والفعال الحميدة، فينبري للمناذرة مهدداً متوعداً، مشيداً بقوة قومه وحسن بلائهم في الحروب:[3]

لِتَغْلِبَ أَبْكي إذْ أثارَتْ رماحُها ... غَوائِلَ شَرٍّ بينَها مُتَثَلِّمِ
وكانوا همُ البانينَ قبلَ اختلافِهِمْ ... ومَنْ لا يَشِدْ بُنْيانَهُ يَتَهَدَّمِ
أَنِفْتُ لهمْ مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ ومَرْثَدٍ ... إذا وَرَدوا ماءً، ورُمْحِ بن هَرْثَمِ[4]
ويوماً لدَى الحَشّارِ، مَنْ يَلْوِ حَقَّهُ ... يُبَزْبَزْ، ويُنْزَعْ ثوبُه ويُلَطَّمِ[5]
وفي كُلِّ أَسْواقِ العِراقِ إتاوَةٌ ... وفي كلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ[6]

---

(١) جواد علي ٩/ ٦٩٣.
(٢) انظر الهجاء والهجّاءون في الجاهلية (الهجاء السياسي) للدكتور محمد محمد حسين: ١٣٧ ـ ١٥٩.
(٣) المفضّلية: ٤٢.
(٤) أنف لهم أن يأخذوا دية قيس ومرثد ورمح، ولا يدركوا بثأرهم، فينظر الناظر إلى دياتهم من الإبل إذا وردت، فيعيرهم بها.
(٥) الحشّار: الحاشر، وهو الجابي يحشر المال، أي يجمعه. ويلوي: يمطل. ويُبَزْبَز: يُتَعْتَع، أي يُدْفَع.
(٦) الإتاوة: الخراج. والمكس: ضريبة كانت تؤخذ من بائعي السلع في الجاهلية.

أَلا تَسْتَحي منّا مُلوكٌ وتَتّقي ... مَحارِمَنا لا يَبْوُؤ الدَّمُ بالدَّمِ[1]
نُعاطي الملوكَ السِّلْمَ ما قَصَدوا بنا ... وليسَ علَيْنا قَتْلُهمْ بِمُحَرَّمِ[2]
وكائِنْ أَزَرْنا الموتَ مِنْ ذي تحيَّةٍ ... إذا ما ازْدَرانا أَوْ أَسَفَّ لِمأْثَمِ
وعَمرُو بنُ هندٍ قَدْ صَقَعْنا جَبينَه ... بِشَنْعاءَ تَشْفي صَوْرَةَ المُتَظَلِّمِ[3]
يَرى الناسُ منّا جِلْدَ أَسْودَ سالخٍ ... وفَرْوَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيْغَمِ[4]

ويصور الأخنس بن شهاب التغلبي سيطرة اللخميين المناذرة على مناطق نفوذهم في أرض العرب، حيث تجبى إليهم ثمراتها من الضرائب والمكوس، ولا يرد لقائلهم قول، بل إذا قال قائلهم قولاً أصبح واجباً مقضياً:[5]

ولَخْمٌ مُلوكُ النّاسِ يُجْبَى إلَيْهِمُ ... إذا قالَ منهمْ قائِلٌ فَهْوَ واجِبُ

فلا بدع إذاً أن يتململ العربي الذي تعشّقت نفسه الحرية والانطلاق من القيود، وكرهت السلطان المنظَّم الذي يخضع الناس جميعاً لأمره، لا بدع أن يتململ من الخضوع للمناذرة، وتنفيذ ما يأمرون به. وإننا لواجدون في الشعر الجاهلي تعبيراً صادقاً عن هذا التململ والضيق والثورة، كما في قصيدة يزيد بن الخذّاق الشّنّيّ، وهو شاعر من عبد القيس. فقد ترامى إليه أن النعمان آلى على نفسه أن يغزوهم، ليخضد من شوكتهم، ويفلّ من غرب عزّتهم، ويكرههم على دفع المكوس أذلة طائعين، فوقف يزيد في علياء عزّته، وعلى ربوة اعتداده بقومه، يصرخ في وجه النعمان بملء فيه: أن تحَلَّلْ من قسمك الآثم، إذ لا قِبَل لك بالوفاء به، فما نحن بملّاحين أذلّة، نعطي المكوس عن يدٍ صاغرةٍ مَنْ يطلبها، ولو بعثت بعيونك

---

(١) لا يَبْوؤ الدم بالدم: أي حِذارَ أن تبوء دماؤهم بدماء مَنْ قتلوهم، فيقتص منها.
(٢) ما قصدوا بنا: أي عدلوا.
(٣) صقعنا: ضربنا. وشنعاء: ضربة مفظعة. والصَوْرة: شبه الحكّة يجدها الإنسان في رأسه. والمتظلّم: الظالم.
(٤) الأسود: العظيم من الحيّات، ويقال له: «سالخ» لأنه يسلخ جلده في كل عام.
(٥) المفضلية: ٤١ البيت: ١٧.

لتشهد ما نحن عليه من قوة لوافتك بنبأ الجمع اللجب رابضاً حول أبياتي، متأهباً متحفّزاً:(١)

تَحلَّلْ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ، مِنْ قولِ آثِمٍ ... على ما لنا لَيْقْسَمَنَّ خُموسا
إذا ما قَطَعْنا رَمْلَةً وعَدابَها ... فإنَّ لنا أَمْراً أَحَذَّ غَموسا(٢)
أقيموا بَني النّعمانِ عنّا صُدوركُمْ ... وإلاّ تُقيموا كارهينَ الرُّؤوسا
أكلَّ لئيمٍ منكُمُ ومُعَلْهَجٍ ... يَعُدُّ علينا غارَةً فَخُبوسا(٣)
ألا ابنَ المُعَلَّى خلتَنا وحسبتَنا ... صَراريَّ نُعْطي الماكسينَ مُكُوسا(٤)
فإنْ تَبْعثوا عيناً تَمنَّى لِقاءنا ... تَجِدْ حَولَ أَبْياتي الجميعَ جُلوسا

وليزيد بن الخَذّاق الشَّنِيِّ قصيدة أخرى، يتهم فيها النعمان بالخيانة والخداع، ويعلنه بتحدٍّ سافر جاهر إن كان ينوي غمز قناتهم فإنهم ذوو بأس شديد، وأصل رفيع، وعزة قعساء، لا تفت في عضدهم تهديداته الخرقاء الرعناء:(٥)

نُعْمانُ إنَّكَ خائِنٌ خَدِعٌ ... يُخْفي ضميرُكَ غيرَ ما يُبْدي
فإذا بَدا لكَ نَحْتُ أَثْلَتِنا ... فعلَيْكَها إنْ كنتَ ذا حَرْدِ(٦)
يَأْبَى لَنا أنّا ذَوو أَنَفٍ ... وأُصولُنا مِنْ مَحْتِدِ المَجْدِ
إنْ تَغْزُ بالخَرْقاءِ أسْرتَنا ... تلقَ الكتائبَ دونَنا تَرْدي(٧)
أحسِبْتَنا لَحْماً على وَضَمٍ ... أمْ خِلْتَنا في البَأْسِ لا نُجْدي؟(٨)

---

(١) المفضّلية: ٧٩.
(٢) العداب: الحبل من الرمل. والأحذّ: الشديد. والغموس. الغامض.
(٣) المُعَلْهَج: الذي ليس بخالص النسب ولا كريم. والخبوس: الغنيمة.
(٤) صراري: ملاّحون. والماكس: الجابي. والمكوس: الضرائب.
(٥) المفضّلية: ٧٨.
(٦) الأثلة: شجرة، جعلها مثلاً لعزّهم. والحرد: القصد والتعمّد.
(٧) تردي: أي تتقدم.
(٨) الوضم: الخشبة التي يقطع الجزار عليها اللحم، وهذا مثل في الضعف، إذ لا يستطيع اللحم الذبيح أن يدفع عن نفسه.

ومَكَرْتَ مُعْتلِياً مَخَنَّتَنا ... والمكرُ منكَ علامةُ العَمْدِ[1]
وهَزَزْتَ سَيفَكَ كيْ تحاربَنا ... فانظُرْ بسيفِك مَنْ بهِ تُرْدي
وأَرَدْتَ خطّةَ حازمٍ بطَلٍ ... حَيْرانَ أَوْبَقَهُ الذي يُسْدي[2]
ولقدْ أضاء لكَ الطريقُ وأنْهجَتْ ... سُبُلُ المَسالِكِ، والهُدَى يُعْدي[3]

وممن هجوا النعمان، واشتدّوا في هجائه وتهديده الحارث بن ظالم الذبياني، وهو من أشراف بني مرّة وساداتهم وشجعانهم، فتك بخالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، وهو في جوار النعمان بن المنذر، وفتك بابن النعمان انتقاماً لجيران له، أصابهم من النعمان شرّ في إبلهم وفي أنفسهم. وأبياته التالية في تهديد النعمان وهجائه بيّنة الدلالة على تمرّد الشعراء على ملوك الحيرة، وتحدّي سطوتهم وطغيانهم:[4]

قِفا فاسْمَعا أُخْبِرْكُما إذْ سَأَلْتُما ... مُحارِبُ مَوْلاهُ وثَكْلانُ نادِمُ[5]
فَأُقْسِمُ لولا مَنْ تَعَرَّضَ دونَه ... لَخالَطَهُ صافي الحَديدةِ صارِمُ[6]
حسبتَ أبا قابوسَ أنّكَ سالِمٌ ... ولمّا تُصِبْ ذُلًّا، وأنفُك راغِمُ؟
فإنْ تَكُ أذْوادٌ أُصِبْنَ وصِبْيَةٌ ... فهذا ابنُ سَلْمى رأسُهُ مُتفاقِمُ[7]

---

(١) المخنّة: الأنف، أي مرغمًا أنوفنا.
(٢) أوبقه: أهلكه.
(٣) يقول: اتضحت لك حقيقتنا، فاتبع الهدى يعنك على طريقك.
(٤) المفضلية: ٨٨.
(٥) محارب مولاه: يقصد نفسه، لأنه قتل ابن الملك. وثكلان نادم: يعني الملك النعمان بن المنذر، أي قتلت ابنه، فهو ثكلان نادم.
(٦) يقول لولا الحرس المحيطون حوله لأرديته قتيلاً.
(٧) الأذواد: جمع ذود، وهي الجماعة من الإبل. يشير إلى ما أصاب إبل جيرانه وصبيتهم. ابن سلمى: ابن الملك النعمان، وكان في حجر سلمى أخت الشاعر وزوجة سنان بن أبي حارثة، وكان النعمان أودعها ولده. ومتفاقم: غير ملتئم.

عَلَوْتُ بذي الحَيّاتِ مَفْرِقَ رأسِه ... وهلْ يركبُ المكروهَ إلاّ الأكارِمُ[1]
فَتَكْتُ بِـهِ كَمَا فَتَكْتُ بخـالِـدٍ ... وكانَ سِلاحي تَجْتويهِ الجَماجِمُ[2]
أَخُصْيَيْ حِمارٍ باتَ يكـدِمُ نجمةً ... أتأكلُ جيراني وجارُك سالِمُ؟[3]
بَـدأْتُ بهـذي، ثمّ أثْني بهـذِه ... وثـالثةٌ تَبْيَضُّ منهـا المَقـادِمُ[4]

ومن أشدّ الصرخات التي أطلقها الشعراء في وجوه ملوك الحيرة، صرخات عمرو بن كلثوم في وجه عمرو بن هند، فقد كانت صرخات قوية، صوّرت تحدّي الشعراء العرب كبرياء ملوك الحيرة وغطرستهم، وعبّرت عن ثورتهم عليهم، ورفضهم التبعية لهم والخضوع لسلطانهم:[5]

بـأيِّ مَشيئـةٍ عَمْـرَو بنَ هنـدٍ ... تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرينا؟
بـأي مَشيئـةٍ عَمـرَو بنَ هنـدٍ ... نكـونُ لِقَيْلِكمْ فيهـا قَـطِينا؟
تَهـدَّدْنا، وأَوْعِـدْنـا، رُوَيْـداً ... متَى كُنّـا لأُمِّـكَ مَقْتَـوينا؟[6]
فـإنَّ قناتَنـا، يـا عمـرُو، أعْيَتْ ... عـلى الأَعْـداءِ، قبـلَكَ أنْ تَلِينا

وهجا المتلمس المناذرة، واشتد في حملاته على عمرو بن هند، بعد أن طرده ونذر دمه، فأطلق لسانه في عرضه وأخلاقه ونسبه قائلاً:[7]

أَطْـرَدْتَـني حَـذَرَ الـهِجـاءِ ولا ... والـلاّتِ والأَنصـابِ لا تَئِـلُ[8]

---

(١) ذو الحيّات: اسم سيفه.
(٢) خالد: هو ابن جعفر بن كلاب، قتله الشاعر وهو في جوار النعمان. وتجتويه: تكرهه.
(٣) أَخُصْيَيْ حمار: يخاطب النعمان محقّراً مستهزئاً. ويكدم: يعضّ. ونجمة: واحدة النجم، وهو النبت الذي لا ساق له.
(٤) يريد بالأولى قتل خالد بن جعفر، وبالثانية قتل ابن النعمان، وبالثالثة قتل النعمان، يتوعده بها. والمقادم: أراد بها الناصية، تشيب من هول الضربة المقبلة.
(٥) شرح القصائد العشر، قصيدة عمرو بن كلثوم.
(٦) أي خدماً.
(٧) ديوانه: ٤٢.
(٨) لا تئل: لا تنجو.

ورَهَنْتَني هنـداً وعِـرضُـك في ... صُحُفٍ تـلوحُ كـأنّهـا خِـلَلُ[1]
شَـرُّ الملوكِ وشَـرُّهـا حَـسَبـاً ... في النّاسِ مَنْ عَلِموا ومَنْ جَهلوا
الـغَـدْرُ والآفـاتُ شِـيـمـتُـه ... فـافهَمْ، فعُـرْقـوبٌ لـهُ مَثَـلُ[2]
بئسَ الفُحـولَـةُ حينَ جَـدَّ بِهِمْ ... عَرَكُ الرِّهـانِ وبئسَ ما نَجَلوا[3]
أعني الخُؤولـةَ والـعمـومَ فـهمْ ... كـالـطِّبْن ليسَ لِبَيْتِـهِ حِـوَلُ[4]

هذا هو الفريق الثائر المتمرّد على سلطان المناذرة، المتحدّي كبرياءهم، الموغل في هجائهم وتبكيتهم. ويبدو أن مواقف هذا الفريق من المناذرة استهوت شاعرنا طرفة بن العبد، فراح يحطب في حبالهم، مستجيباً لدفقة الشباب الحارة في كيانه، ملبّياً داعي الثورة والانتقام والتشفي من الملك عمرو بن هند الذي لم يعبأ بطموحه وتطلّعاته وأمانيه، منكراً عليه استعلاءه على الناس واستخفافه بهم وبحياتهم[5]:

فليتَ لنـا مكـانَ المَلْكِ عَمْرٍو ... رَغـوثـاً حـولَ قُبَّتِنا تَخـورُ[6]
مِنَ الـزَّمِـراتِ أسْبَـلَ قـادِمـاهـا ... وضَـرَّتُـهـا مُـرَكَّـنَـةٌ دَرُورُ[7]
يُشـاركُنـا لنـا رَخِـلانِ فيـهـا ... وتَعْلوهـا الكِبـاشُ فمـا تَنـورُ[8]
لَعَمْـرُكَ إنَّ قـابُـوسَ بنَ هِنْـدٍ ... لَيَخْلِطُ مُلْكَـهُ نُـوكٌ كَثيـرُ[9]

---

(١) أي جعلت أمك هنداً رهينة في يدي أهجوها. والخِلل: جمع خِلّة، وهو نقش يكون في بطانة السيف.
(٢) عرقوب: رجل كان يضرب به المثل في الكذب والإخلاف بالوعد.
(٣) الفحولة: أراد بها أبوّة عمرو. والرهان: السباق. ونجلوا: ولدوا.
(٤) الطبن: ما جاءت به الريح من الحطب والقمْش، فإذا بنى منه بيت فلا قوّة له.
(٥) ديوان طرفة بشرح الأعلم: ٩٦.
(٦) الرغوث: النعجة المرضع. يتمنى أن يكون لهم مكان عمرو بن هند نعجة تحكمهم.
(٧) الزمرات: القليلات الشعر والصوف. والقادمان: الخِلْفان المتقدّمان من أخلاف الناقة، جعلهما للشاة. وأسبل: طال واكتمل. والضَّرّة: لحم الضرع. والمركّنة: ذات أركان. ودرور: كثيرة الدَّرّ.
(٨) الرَّخِل: الأنثى من أولاد الضأن، أي يشاركنا في لبنها رخلان. وتنور: تنفر.
(٩) قابوس: أخو عمرو بن هند. والنوك: الحُمْق.

قَسَمْتَ الدَّهْرَ في زَمَنٍ رخِيٍّ ... كَذَاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجُورُ[1]

لَنا يومٌ ولِلْكِرْوانِ يَوْمٌ ... تطيرُ البائِساتُ ولا نَطيرُ[2]

فأمّا يَوْمُهُنَّ فيومُ نَحْسٍ ... تُطارِدُهُنَّ بالحَدَبِ الصُّقورُ[3]

وأمّا يومُنا فنَظَلُّ رَكْباً ... وُقوفاً ما نحُلُّ وما نَسيرُ[4]

---

(١) قسمت الدهر: يشير إلى ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه.

(٢) الكِرْوان: جمع كَرَوان، وهو طائر.

(٣) الحدب: ما ارتفع من الأرض في غلظ.

(٤) ما نحل وما نسير: أي نحن قيام على بابه ننتظر الإذن، فلا هو يأذن فنحلّ عنده، ولا هو يأمر بالرجوع فنرحل عنه.

obeikandl.com

٤

الملك عمرو بن هند

تسنّم عمرو بن عند عرش الحيرة بعد وفاة والده المنذر بن امرىء القيس نحو سنة ٥٥٤ م، ولبث على عرشها حتى نحو سنة ٥٦٩ م[١]. وكان أبوه المنذر قد تزوج هنداً بنت آكل المرار، فولدت له أولاداً، منهم: عمرو بن هند الذي وليه على عرش الحيرة، وقابوس، والمنذر بن المنذر، ومالك بن المنذر. ولما كبرت هند، رأى ابنة أخيها أمامة بنت سلمة بن الحارث بن عمرو المقصور، وهي ابنة أخي هند، فأعجبته، فطلّق هنداً وتزوجها، فولدت له أمامة عمراً، وهو الذي قتلتْه مراد بقضيب[٢].

وكان المنذر بن امرىء القيس في حياة منه جعل الملك من بعده لابنه عمرو بن هند، ثم لقابوس، ثم للمنذر بن المنذر بعدهما، ولم يجعل لعمرو بن أمامة شيئاً. وهذا ما أوقع الشرّ بينه وبين إخوته.

ولما ملك عمرو بن هند استعمل إخوته الأشقاء، وقطع عمرو بن أمامة فقال عمرو بن أمامة في ذلك[٣]:

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (طرفة)، بروكلمان ١/٩٢، معلّقات العرب للدكتور بدوي طبانة: ١٢٢، جواد علي ٣/٢١٨، ٨/٤٤٢.

(٢) قضيب: واد في أرض تهامة (معجم البلدان).

(٣) شرح القصائد السبع: ١١٨.

ألابنِ أمِّكَ ما بَدا ولكَ الخَورْنَقُ والسَّديرُ[1]
فَلأَمْنَعَنَّ منابتَ الـ ـضَّمْرانِ إذْ مُنِعَ القُصورُ[2]
بِكتائِبٍ تَرْدي كما تَرْدي إلى الجِيَف النّسورُ[3]
إنّا منَ العَلّاتِ تُقْـ ـضَى دونَ شاهِدِنا الأمورُ[4]

ولما لحق عمرو بن أمامة باليمن سار معه طرفة، فأُضِمَ عليه[5] عمرو بن هند. وكان عمرو بن هند جباراً عاتياً، لُقِّب بمضرّط الحجارة لقوة شكيمته وشدة بأسه، ويظهر من الروايات، ومن الشعر الذي وصفه أنه كان سريع الانفعال، يتألم بسرعة مما يسمع، ولذلك تعرّض لكثير من المشكلات بسبب حسّه المرهف وانفعاله الحادّ، وكان هدفاً لكثير من الشعراء، سدّدوا إليه سهام هجائهم، وقذفوه بمرّ القدح والتجريح والتشهير[6].

ذلك أن الحكم الفردي يخضع في العادة لمزاج الحاكم، ولدرجة هدوء أعصابه، وقدرته على ضبط نفسه والتحكم فيها عند الغضب والانفعال؛ فإن كان الملك عاطفياً انفعالياً سريع التأثر والغضب، إتسم عهده بالمشكلات والمؤامرات، وهان عليه قتل الأشخاص لأتفه الأسباب، وفي حكم كهذا تكثر الوشايات والمؤامرات، وينشط الحسّاد وأصحاب الذكاء للإيقاع بخصومهم، ويتحيّنون لذلك الفرص المناسبة.

نجد مصداق ذلك فيما أوقعه المستغلون بين عمرو بن هند وبعض القبائل

---

(١) الابن: أمك: أي الأخيك؟ والخورنق والسّدير: قصران عظيمان في الحيرة.

(٢) إذ منع القصور: إذْ مُنِعَتْ مني واستؤثر بها عليّ.

(٣) تردي: تسرع.

(٤) بنو العَلّات: الذين أمهاتهم شتّى وأبوهم واحد. وتقضى دون شاهدنا الأمور: تقضى من غير أن نشهدَها، ويُسْتَبَدُّ علينا فيها.

(٥) أي حقد. وانظر شرح القصائد السبع: ١١٨، ١١٩، والروض الأنف ١/٢٢، ومعجم البلدان (قضيب).

(٦) حمزة: ٧٢، مفاتيح العلوم: ٦٩، الأغاني ٢١/١٢٦ (ساسي)، الخزانة ٤١٧/٨، اليعقوبي ١/ ٢١٠، الفاخر: ٧٤.

العربية، فإذا هو هدف يُرْمَى من شعرائهم عن قوس واحدة، ونجده أيضاً فيما فعله المرجفون من الإيقاع بين عدي بن زيد العبادي والنعمان بن المنذر، وبين النابغة الذبياني والنعمان بن المنذر أيضاً، وغيرهم.

وزعم الرواة أنه كان لعمرو بن هند يومُ بؤس ويومُ نعيم، فيومَ يركب في صيده يقتل أول من لقي، ويوم يقف الناس ببابه، إن اشتهى حديث رجل أذن له، فكان هذا دهره، وكذلك كان أخوه قابوس[1].

وقالوا: إنه كان لا يبتسم ولا يضحك، وكان شديد الهيبة، ويسمى محرِّقاً أيضاً؛ لأنه حرّق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم برّاً بقسمه لينتقمنَّ منهم بقتل مئة رجل منهم وإحراقهم بالنار[2].

ونستظهر من بعض الروايات أن عهد عمرو بن هند كان متسمًا بشيء غير قليل من الازدهار والدقة والنظام، ففيها ما يفيد أنه أول ملك عربي ختم رسائله[3]

وفيها ما يفيد أن الحيرة كانت موئل الشعراء في عهده، إذ لا تكاد تسمع بشاعر جاهلي مشهور إلا وله صلة به، أو خبر؛ فقد كان الشعراء يضربون إليه أكباد الإبل، ويقطعون المفاوز والفلوات، لينشدوا شعرهم بين يديه، ويحظوا بجوائزه السخيّة، ولم تكن مجالسه تخلو من منافسة الشعراء بعضهم بعضاً، ومن نقد بعضهم شعر بعض، كالذي حدث بين طرفة والمسيب بن علس أو المتلمس، وبين عمرو بن كلثوم والحارث بن حلّزة، وغيرهم.

وكثيراً ما كانت تؤدي هذه المنافسات بين الشعراء إلى غضب قبائلهم، وغضب الملك نفسه، وغضب الشعراء على منافسيهم وعلى الملك، ظناً منهم أنه متحزّب لخصومهم.

---

(١) شرح القصائد السبع: ١١٨، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٢٠، العقد الثمين: ٣١٧.

(٢) الخزانة ١/ ٤١٧، حمزة: ٦٧، ثمار القلوب: ١٠٧، ديوان طرفة بشرح الأعلم وابن السكيت ـ القصيدة الرائية.

(٣) الاقتضاب للبطليوسي نقلاً عن جواد علي ٨/ ٣٠٦.